**المحاضرة الرابعة:**

**الفلسفة والمجتمع**

هناك سؤال شائع على ألسنة الناس منذ القدم وحتى عصرنا الحالي، هل للفلسفة أهمية في حياة الشعوب؟ بمعنى آخر هل للفلسفة كعلم دور ممكن أن تلعبه في المجتمع؟

إن الفلسفة لا تفهم إلا في قلب التغيير الذي يحصل في المجتمع، بل هي صانعة للتغيير نفسه، أسست لمناهج علمية وقعدت لشروط الفهم القيمي والأخلاقي للكائن البشري، ولم تكن وصفتها نظرية خالصة كما يدعي خصومها، وإنما الإحساس بنشوة التفلسف لا يتأتى إلا بملامسة تفاصيل الحياة اليومية للإنسان، حيث تتغذى التجربة الفلسفية على ممكنات الصراع الواقع الاجتماعي، وتتجاوز ذلك إلى طرح أسئلة مرتبطة بأشكال التعاطي مع منطق المجتمع وتحولاته الكبرى؛ تحولات تخلق تحد على مستوى المعايير والرموز، وتصنع لغطا فيما يخص الخطاب المنتج للمعاني الحقيقية القادرة على مواجهة عمق الأزمة التي تقلق الإنسان وتولد لديه الشعور بالجمود والعطالة.

تتدخل الفلسفة في الواقع الاجتماعي وفق ثلاث لحظات: أولها الفهم، وثانيها النقد، وثالثها المساهمة في التصحيح بوضع تصورات للحل.

أولا: فهم الواقع حيص تطرح مشكلات الواقع على مستوى كبير من التعقيد لا يستطيع إدراكه إلا الفيلسوف، حيث يعتبر أي تبسيط للمشكلات إلى زيادة في التعقيد والخلط. حيث قد تختلط العوامل الأخلاقية والسياسية والاجتماعية في مشكلة ما، فلن يستطيع إلا الفيلسوف تحليل هذا المشكل ومعرفة أسبابه الحقيقية التي قد تكون مجتمعة بين مختلف العوامل. وهو ما يعجز عنه العالم بحكم التخصص الذي يحمله والذي يمنعه من النظر إلى المشكل في كليته.

ثانيا: نقد هذا الواقع، انطلاقا من مناهجها التأملية والتحليلية، والمقارنة فإنها تدرك مكامن الخلل، وأسباب الوقوع فيه. كما أن استنادها على خلفية نظرية معرفية تمدها بالقدرة على اجراء مقارنات بين ما هو واقع وما يجب أن يكون، كما أن منهج التحليل يمدها بالقدرة على فهم المشكلات في جزئياتها وفي دقتها وبساطتها.

ثالثا: النظر في مختلف الاحتمالات الممكنة، إذ أي مشكل يطرح جملة من الممكنات، وانطلاقا منها يضع الفيلسوف تصوره لتجاوز المشكلات، والواقع التاريخي يذكر لنا بأنه في كل الأزمات التي حدثت، تبرز تصورات عظيمة لتجاوز النكسات أو المشكلات، وقد يظهر أكثر من تصور، لأكثر من فيلسوف. وهو ما حدث مثلا في بريطانيا، فلتجاوز مشكلات الصراع بين القصر وانبلاء والشعب، ظهرت جملة من التصورات لفض النزاع. حيث انتثر أحدها للملك، وآخر للشعب وهكذا، كان ذلك مع هوبز ولوك.

ويورد لنا المفكر عماد الدين إبراهيم كيف تدخلت الفلسفة في بعض الفترات من تاريخ الإنسانية في تجاوز المشكلات والأزمات الاجتماعية والفكرية والسياسية، وحتى الدينية.

ففي العصر اليوناني لعب سقراط دورًا هامًا في تغيير المجتمع وأفكاره ومعتقداته، وحرك المياه الراكدة في المجتمع الأثيني وأحدث ثورة فكرية وتنويرية من خلال أرائه الفلسفية.

كذلك " أفلاطون " في محاورته الشهيرة " الجمهورية " كانت أرائه الفلسفية بمثابة قوة الدفع في تغيير كثير من الآراء السياسية والاجتماعية، أما إذا رجعنا إلى العصر الوسيط الإسلامي نجد الفيلسوف الإسلامي ” الكندي ” من خلال رسائله إلى المعتصم وكيف كان لها التأثير البالغ في توجيه نظر المعتصم لما يصلح أحوال البلاد والعباد.

كذلك في العصر الوسيط الأوروبي نجد " ميكيافيلي " في كتابه الشهير " الأمير " الذي لعب دوراً هاماً في تغيير الأفكار السياسية والحياة الاجتماعية في إيطاليا في ذلك الوقت.

أما في العصر الحديث فإننا نرى أراء وأفكار " فولتير، روسو، مونتسيكيو " كانت بمثابة الإرهاصات الأولى للثورة الفرنسية بمبادئها في الحرية، الإخاء والمساواة، كما أن أفكار " كانط، هيجل " في ألمانيا كانت السبب الأساسي الذي أوحى إلى " بسمارك " بتوحيد ألمانيا، أيضا أفكار " وليام جيمس، جون ديوي" في أمريكا صبغت المجتمع الأمريكي بالصبغة العملية النفعية " البرجماتية "

من هنا نرى أن للفلسفة دورا هاما في تغيير حياة الشعوب. فالفيلسوف لا يسكن برج عاجي، بل يختلط بالمجتمع ويعيش هموم ومشاكل عصره.

ويثبت هذا مقولة هيجل الفيلسوف الألماني العظيم ( الفلسفة هي عصرها معبراً عنه بالأفكار(